

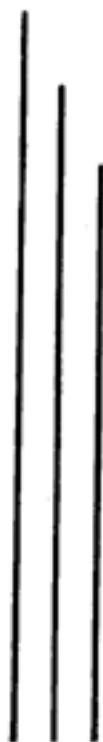
أحاديث في السيرة النبوية ١

لِمَاذَا
لَمْ يُحِبَّ
رَسُولُ اللَّهِ

د. محمد عبده يماني

مؤسسة علوم القرآن

شركة دار القبلة



لِمَاذَا
لَمْ يُعَبِّدْ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

لِمَاذَا
لَمْ يُحِبِّكَ
رَسُولُ اللَّهِ

شركة دار القبلة

د. محمد عبد الله يمان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م



دار القبلة للثقافة الإسلامية

الطبعة العربية السعودية - جزء - ص ١٠٩٣٢ - الرقم ٢١٤٤٣ - ت ٦١-٦٦٥٢٤ / ١٦٥٩٩٥١ / فاكس ٦٦٥٩٤٧٦



مؤسسة علوم القرآن

مؤسس - شايخ مسلم الباعجي - بناء عرب - ص ٤٦٠ - ت ٢١٤٩٩ - بيروت - ص ١١٣ / ٥٢٨١

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، وأرسله للناس رحمة ، واختصه بأشرف الخصائص ، وأيده بأعظم الدلائل ، وزينه بأكرم الشرائع ، وأعطاه الشفاعة العامة بجميع الخلق ، والشفاعة الخاصة بأمته ، وآتاه الوسيلة من الجنة ، والحوض والكوثر ، ووعدته بأن يعطيه يوم القيامة حتى يرضى .. وقرن اسمه إلى اسمه ورفع الله ذكره .

فلا يذكر بالوحدانية إلا شهد له بالرسالة ، وجعل العبودية أشرف صفاته ، وأمره بعبادته منذ بعثته حتى وفاته ، وكلفه من أعبائها ما لم يكلف مثلها أحداً من



رساله ، وخاصة أوليائه ، فقال في خطابه : ﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْمِلُ
 ﴿١﴾ قُمْ إِلَيْكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ تَصَفَّهُ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ
 الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ ^(١) ، ودعاه إلى التهجد فقال : ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ
 فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ ^(٢) ،
 وقال : ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ ^(٣) .

صلى الله عليه وسلم وبارك كثيراً كثيراً ، وعلى إخوانه
 الأنبياء والمرسلين ، وآله وأصحابه أجمعين : وبعد ، فإن أصل
 هذا الكتاب مقالات ثلاث كنت قد نشرتها في الصحافة اليومية ،
 وقد عدت إليها فأجريت فيها بعض التعديلات والزيادات .

وسوف يرى القارئ الكريم في هذا الكتاب استحالة أن
 يعبد رسول الله ﷺ في حياته أو بعد وفاته .

(١) المزمّل : ١ / ٣ .

(٢) الإسراء : ٧٩ .

(٣) الإنسان : ٢٦ .



وكيف يمكن أن يعبد الله تعالى يقول في خطابه :
﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(١)، ويقول له:
﴿لَيْنَ أَشْرَكْتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢).

وكيف يمكن أن يعبد رسول الله ﷺ ، وكتاب الله تعالى يقول له :
﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا﴾^(٣).

وكيف يمكن أن يقع ذلك وما عاش على الأرض إنسان عرف الناس من أصله ونسبه وحياته ونشأته وشبابه وأخلاقه وأعماله وزواجه وإنجابه ، كما عرفوا عنه قبل بعثته .

وكيف يمكن أن يعبد رسول الله ﷺ وما عاش على ظهر الأرض نبي عرف الناس عن بعثته ودعوته وما لقيه من قومه ،

(١) الأنعام : ١٥ .

(٢) الزمر : ٦٥ .

(٣) الكهف : ١١٠ .



وما أظهره من صبر ومصابرة حتى نصره الله معشار ما عرف
الناس عنه نبياً كريماً .

وكيف يمكن أن يعبد رسول الله ﷺ وقد كان يقوم
الليل في عبادة الله حتى تورمت قدماه ، ويبكي حتى
يسمع لصدره أزيز ، وحتى تبلبل دموعه لحيته ومكان
سجوده ؟ وكيف يكون ذلك وكان يقول : « لا تطروني
كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبده فقولوا :
عبد الله ورسوله » .

إن الإطراء الذي نهى عنه هو إطراء النصارى الذين غلوا
في المسيح عليه السلام فقالوا : عيسى ابن الله ، وقالوا : إن الله
هو المسيح بن مريم ، وقالوا : إن الله ثالث ثلاثة - تعالى الله عن
ذلك علواً كبيراً .

أما تعظيم رسول الله ﷺ وتفخيمه والثناء عليه فهو واجب
على أمته ، دعا الله إليه المؤمنون فقال تعالى : ﴿تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾



وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿١﴾.

والتعزير والتوقير هو النصر والإجلال والتعظيم والتفخيم بالاصطلاح اللغوي الذي ذهب إليه علماء اللغة والتفسير ، ولو كان هذا يفضي إلى عبادته ما ارتضاه الله عز وجل لعباده ودعاهم إليه ، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تأمر بحسن التأدب في مخاطبته ودعوته ومناداته ومجالسته ، وعندما أراد الله عز وجل أن يدعو عباده إلى الصلاة والسلام عليه بدأ ذلك بنفسه تعظيماً له وتفخيماً ، وثنى بملائكة قدسه فقال جل جلاله : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٢).

(١) الفتح : ٩.

(٢) الأحزاب : ٥٦.



اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على
إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد
كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد
وسلم تسليماً كثيراً .

اللهم اجعل هذا العمل خالصاً لوجهك وتقبله مني إنك
أنت السميع العليم .

د . محمد عبده يمانى

١٥ / ١ / ١٤١٥ هـ



بعث الله نبيه محمداً ﷺ بآخر رسالاته ، وأرسله رحمة لجميع خلقه ، وآتاه القرآن ومثله معه ليكون للعالمين نذيراً ، وجعله أماناً للناس ، ونعمة من أعظم نعمه على عباده ، وشمساً مشرقة يستضيء بها السالكون على طريق الإيمان إلى آخر الزمان ... إنه الرسول الرحمة ، والنبي القدوة ، والسراج المنير الهادي بإذن ربه إلى صراط مستقيم، وحاشا لله أن يجعله فتنة للناس ، وقد جعله رحمة للعالمين.

ومن الظواهر المهمة والكرامات المشهودة لرسول الله ﷺ أنه لم يعبد أبداً ولا في حياته ولا بعد مماته ، ف سبحان من أكرمه وكرمه ، وختم به رسالات السماء إلى الأرض ،



فكان الخاتم وكان الهادي إلى صراط الله المستقيم ، وهو -
كما وصفه ربه - بالمؤمنين رؤوف رحيم.

حياته الشريفة :

فقد كانت حياته واضحة معلومة منذ ولادته وحتى وفاته وكلها سيرة عطرة معروفة التفاصيل كريمة الأصول ، لم يعبد فيها أحداً غير الله فكان قدوة الأمة في التوحيد و مثلاً يحتذى في العبودية لرب العالمين ، وكذلك لم يدع إلى تعظيم نفسه أو عبادتها وإنما كان معلم التوحيد ورسول الإخلاص للواحد الأحد ، ولهذا فإن الله تعالى قد حفظه من الشرك ، فلم يعبد أحداً غير الله قبل أن يبعثه ، فلما بعثه كان أول ما دعا إليه شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده الله ورسوله .

ولا شك أن محمداً ﷺ ، ولد في ضوء الشمس فسيرته معروفة في كل أطوار حياته : من ولادته وحتى وفاته ، في



ولادته ، وفي طفولته ، وفي نشأته ، وفي زواجه وفي تعامله مع الناس قبل البعثة وبعدها ، في مكة ، وفي هجرته إلى المدينة ، وبعد هجرته وفي هدايته وتعليمه ، وفي غزواته وفي وفاته .

وفي كل هذه الأطوار من حياته ، كان مثالاً للعبد الصادق في عبوديته ، نعم كل الأنبياء كانوا كذلك ولكن لم تعرف حياتهم التفصيلية بهذا الوضوح والدقة والتفصيل والتوثيق .

بشر مثلكم :

فمحمد ﷺ ولد من أبوين كريمين هما : عبد الله بن عبد المطلب ، وأمنة بنت وهب ، كما يولد البشر ، وعاش حياته المباركة كما يعيش البشر ، فقد توفي أبوه وهو في بطن أمه ، وتوفيت أمه وعمره ست سنوات ، ورضع من حليمة السعدية كما يرضع كل طفل .



وتزوج من خديجة بنت خويلد وولدت له قاسماً وعبد الله والطيب وزينب وأم كلثوم ورقية وفاطمة الزهراء ، وبقي في مكة أربعين عاماً قبل البعثة وثلاثة عشر عاماً بعد البعثة ، يجري عليه ما يجري على البشر ، وهاجر إلى المدينة وبقي بها عشر سنوات يجري عليه ما يجري على البشر ، وتوفي كما يتوفى سائر البشر ، ودفن - بأبي هو وأمي - كما يدفن كل إنسان ، فصفت البشرية واضحة في كل مراحل حياته كل الوضوح ﷺ.

وقد أعلن القرآن الكريم ذلك في مواضع كثيرة : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَحِيدٌ ۚ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا ۝﴾ (١) ، وأعلن هو في أكثر من مناسبة أنه بشر ونجد في القرآن الكريم تشديداً على بشريته وبشرية الأنبياء من قبله ، واستبعاد أن يدعي أحد منهم أنه رب من الأرباب ، أو أن يتخذوا لأنفسهم رباً من الملائكة أو النبيين : ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ

(١) الكهف : ١١٠ .



ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ
بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا
يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ
إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾.

الأنبياء دعوة إلى التوحيد :

كانت دعوة الأنبياء والرسل واحدة: ﴿إِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ
مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ ^(٢) (الأعراف : ٥٩ ، ٦٥ ، ٨٥ ، ٧٣) (هود:
٥٠ ، ٦١ ، ٨٤). وقد جاء التحذير من اتخاذ الأنبياء فمن
دونهم من الصالحين أرباباً لأن ذلك كفر ما بعده كفر ،
وقد شدد الله سبحانه وتعالى النكير على الذين اتخذوا
أنبياءهم ورهبانهم أرباباً من دون الله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ
وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا

(١) آل عمران : ٧٩-٨٠.

(٢) المؤمنون : ٣٢.



أَمُرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ
وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ .. (١) وهم لم
يعبدوا الأحرار والرهبان اعتقاداً بأنهم آلهة من دون الله ، بل
اتبعوهم فيما افتروه على الله من تحريم ما أحل الله ، أو تحليل
ما حرم وأطاعوهم في كل ما أمروهم به ، أو نهوهم عنه مما
لم يأت بهم شرعهم ، ولم تأت به أنبيأؤهم ، فأصبحوا بذلك
أرباباً للناس من دون الله . والمسيح ابن مريم عليه السلام
وأمه بريئان ممن يدعي لهما الربوبية أو الألوهية : ﴿وَإِذْ قَالَ
اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ
اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ
عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾
مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ

(١) التوبة : ٣١-٣٢ .



شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَقَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١﴾ .

كيف عبت الأصنام :

وقد عبّد رجال صالحون بعد موتهم بدهر ، كان أهل عصرهم يحبونهم ثم جاء من بعدهم فأضافوا إليهم غرائب وعجائب لا أصل لها ، فازدادوا لهم حباً وبهم إعجاباً وانتقل الإعجاب إلى تقديسهم ثم أقيمت لهم الصور والتماثيل وعُبدت صورهم ، فقد أورد القرطبي : « عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ ^(٢) ، قال : هذه الأصنام أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها

(١) المائدة : ١١٦ - ١١٧ .

(٢) نوح : ٣٢ .



بأسمائهم تذكروهم بها ففعلوا فلم تعبد... حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبادت من دون الله..»

فتنة بني إسرائيل بالعزيز :

ونجد أن هناك من عبَدَ من الأنبياء كالعزيز عليه الصلاة والسلام ، غاب عن عائلته وأهله وقومه مائة سنة ، وعاد إليهم بعد أن أماته الله مائة عام ثم بعثه على ما كان عليه وعمره أربعون سنة تقريباً لم يتغير فيه شيء ، ورأى أن ابنه صار عمره مائة وثمانية عشر عاماً ، وحفدته شيوخ تزيد أعمارهم عن الثمانين والتسعين ، وكان يحفظ التوراة عن ظهر قلب ، فلما رأى قومه منه ذلك قالوا : «عزيز ابن الله وهو الذي وردت قصة موته وحماره في قوله تعالى : ﴿أَوَ كَذَلِكَ مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ...﴾ (١) .

(١) البقرة : ٢٥٩ .



ولو تأملوا في قصته لعلموا ان الله قد أماته هذه المدة الطويلة ثم بعثه ليريه قدرته على بعث مخلوقاته ، وقد رأى حماره قد صار عظاماً نخرة فاجتمع بعضها إلى بعض كما كانت قبل أن يموت ، ثم كساها الله تعالى اللحم وأجرى في اللحم العروق والأعصاب ، ثم كساها الله الحمار جلدًا وصوفاً كما كان ، وعاد حماراً كما كان ... ورأى طعامه وشرابه الذي كان معه لم يتغير فيه شيء كما لو كان قد نام عنه يوماً أو بعض يوم .. فلما رأى ذلك ﴿قَالَ أَعْلَمْتُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

فتنة النصارى بعيسى عليه السلام :

وقد فتنت النصارى بعيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام لما أجرى الله على يديه من المعجزات العظيمة ، مع أنه كان يخبرهم أنه إنما يفعل ذلك بإذن الله ، وأنه عبد الله ورسوله .



وقد أراد الله تعالى أن يري عباده آية من آياته فخلق عيسى من غير أب ليعلموا أنه على كل شيء قدير ، وأنه كما خلق آدم من غير أب ولا أم ، وكما خلق حواء من آدم بغير زواج ، فإنه هنا خلق عيسى من أم بغير أب ، وأنه سبحانه يخلق ما يشاء ، إن شاء خلق بسبب ، وإن شاء خلق بغير سبب ، لأن الأسباب من إبداعه وصنعه ، يعملها ويبتلها كيف يشاء ، ولا يقدر على ذلك أحد سواه .

ومن أعظم معجزات عيسى عليه السلام إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ، وإنباء الناس بما غاب عنه من أحوالهم ، وما يأكلون في بيوتهم ، وما يدخرون لأنفسهم من أموال أو أرزاق ... وأن الله قد خلقه بكلمة ، ولم يخلقه من أب : ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ ٤٨ ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا



بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ
بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ، ثم رفعه الله إلى السماء بجسمه وروحه .
﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ (٢) ، ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا
الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ
لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ
وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (٣) .

التأكيد على بشرية الرسول ﷺ :

وإذا قرأنا القرآن وتدبرناه نجد أن هناك توجيهاً
واضحاً جلياً من الله عز وجل لعبده ورسوله محمد ﷺ
أن يعلن أنه بشر، ففي سورة الكهف وفي سورة فصلت

(١) آل عمران : ٤٨-٤٩ .

(٢) آل عمران : ٥٥ .

(٣) النساء : ١٥٧ - ١٥٨ .



﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾^(١)، ولما طلب أهل مكة منه أموراً خارقة للعادة . حكى القرآن الكريم ما طلبوه من الخوارق مؤكداً أنه بشر، وأن الخوارق بيد الله تعالى ، وأن محمداً ﷺ لا يستطيع أن يأتي بآية من عند نفسه إلا أن يشاء الله : ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۝٩٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَعَنْبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۝٩١ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا سِفًّا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قِيَالًا ۝٩٢ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْفَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفْيِكَ حَتَّىٰ تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾^(٢).

ذكر ابن إسحق في سيرته بسنده عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : كنت ممن حضر العقبة الأولى وكنا اثني

(١) الكهف : ١١٠ .

(٢) الإسراء : ٩٠ - ٩٣ .



عشر رجلاً ، فبايعنا رسول الله ﷺ على أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفترية من بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف . إلخ . الحديث . وهذه أول بيعة وقد ابتدأت على أن لا نشرك بالله شيئاً .

وكانت كتب النبي ﷺ لأهل الكتاب مقترنة بهذه الآية : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ ^(١) .

فهذا أمر من الله لرسوله أن يدعو أهل الكتاب لعبادة الله وحده وينهاهم عن الشرك وكان مما قال في خطبته يوم الفتح : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » .

(١) آل عمران : ٦٤ .



وكان مما قام به يوم الفتح : تكسير الأصنام، وكان يطعنها بعود في يده وهو يقول : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » « جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد » .

ومن يوم فتح مكة حتى الآن وإلى ما شاء الله ينادي المؤذن فوق الكعبة كما ينادى فوق كل مسجد في الأرض : أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله .

وعندما شاع يوم أحد بعد مقتل مصعب بن عمير رضي الله عنه ، (وكان شبيهاً بالنبى ﷺ خلقاً وخلقاً) ، أن النبى ﷺ قتل ، وكبر ذلك على المسلمين نزل قول الله تعالى بهذا التعبير الواضح العظيم ، يثبت بشريته ﷺ وأنه يصيبه ما أصاب من قبله من الرسل من موت أو قتل : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً ﴾ (١) .

(١) آل عمران : ١٤٤ .



ولما تمنى بعض المشركين من قريش موته نزل
قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ خُلْدًا أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ
الْخَالِدُونَ﴾ (١).

ولما استبطأ بعض كفار قريش موته نزل قوله
تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (٢) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ
تَخْتَصِمُونَ (٣).

وقد حكى القرآن الكريم تعجب المشركين من
أن يكون الرسول ﷺ بشراً فقال: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ
يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ...﴾ (٣).

هذه النصوص وغيرها مما جاء على شاكلتها، كثيرة جداً
لا تكاد تخلو منها صفحة في كتاب الله ، وهي تتلى وتقرأ
وتتكرر على ألسنة الحفاظ والقراء والعلماء وعلى رؤوس

(١) الأنبياء : ٣٤.

(٢) الزمر : ٣٠-٣١.

(٣) الفرقان : ٧.



الأشهاد ، وها هو ذا رسول الله ﷺ يصيبه ما يصيب البشر في غزوة أحد ، فيقع في حفرة من الحفر التي حفرها وغطاها أبو عامر الراهب ، وأُغمي عليه ، وخذشت ركبته ورماه عتبة بن أبي وقاص بحجر كسر رباعيته ، وكذلك شج وجهه الشريف وجرحته وجتاه . ولما قال ﷺ : «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم» . أنزل الله تعالى : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (١) .

وكذلك لما قنت شهراً يدعو على عكل وعرينة نزلت : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (٢) .

وقيل إنها نزلت في أهل بئر معونة وهم سبعون رجلاً من القراء بعثهم رسول الله ﷺ إلى أهل بئر معونة وهي بين مكة وعسفان وأرض هذيل وذلك في صفر

(١) آل عمران : ١٢٨ .

(٢) آل عمران : ١٢٨ .



سنة أربع من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد بعثهم ليعلموا الناس القرآن والعلم وأمر عليهم المنذر بن عمرو ، فقتلهم عدو الله عامر بن الطفيل فوجد رسول الله ﷺ من ذلك جداً شديداً وقتت شهراً في الصلوات كلها يدعو على من قتلهم من تلك القبائل .

روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر يقول : « اللهم العن فلاناً وفلاناً وفلاناً » ، بعدما يقول : « سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد » . فأنزل الله تعالى عليه : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (١) .

فهذه النصوص تدل دلالة قاطعة واضحة على أن محمداً ﷺ عبد الله ورسوله ونبيه وهي من الوضوح والقوة تمنع أن يعبد محمد ﷺ في حياته أو بعد مماته لأنها تؤكد بشريته مع عظم

(١) آل عمران : ١٢٨ .



شأنه وقدره وهو الذي علم الأمة التوحيد وهداها إلى الصراط المستقيم وكان رحمة للعالمين . . عبد الله على هدى وبصيرة وإخلاص وهدم كل معالم الشرك وحارب سبله وأدواته ولم يسمح لأحد بتقليده أو عبادته ولم يدع أحد أبداً أنه إله وما حاول أحد مجرد محاولة عبادة سيدنا محمد ﷺ لأن كل ما جاء في الكتاب والسنة كفيل بمنع ذلك والحيلولة دونه.

فالتأكيد على بشريته ﷺ، وتكرار التأكيد في القرآن الكريم على بشرية الأنبياء والمرسلين لا تخفى على أحد، وهذا القرآن الكريم أنزل على محمد ﷺ، وهو محفوظ في صدور أصحابه ومن بعدهم من التابعين، وتابيعهم إلى يومنا هذا، وهو يتلى دوماً ويفسر دوماً. وإن تكرار التأكيد على هذا مانع كبير أن يعبد في حياته أو بعد مماته. ففي سورة الإسراء: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾^(١).

(١) الإسراء: ٩٤.



وفي سورة يس قول أهل القرية لرسولهم: ﴿... مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ ^(١) .

وفي سورة التغابن: ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ ^(٢) .

وفي قصة فرعون - وموقفه - مع موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام: ﴿فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِيدُونَ﴾ ^(٣) .

وفي القرآن الكريم النص على رسالة محمد ﷺ وأنه واحد من الرسل وأنه من العرب: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ^(٤) ، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ ^(٥) ، ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ ^(٦) .

(١) يس: ١٥.

(٢) التغابن: ٦.

(٣) المؤمنون: ٤٧.

(٤) آل عمران: ١٦٤.

(٥) التوبة: ١٢٨.

(٦) البقرة: ١٥١.



اختار العبودية :

وفي سيرته الشريفة ، أنه ﷺ خير بين أن يكون ملكاً رسولاً ، وبين أن يكون عبداً رسولاً ، فاختر أن يكون عبداً رسولاً ، يجوع يوماً فيصبر ، ويشبع يوماً فيشكر ، قالت عائشة رضي الله عنها : «إنا كنا آل محمد ﷺ لنمكث شهراً ما نستوقد ناراً إن هو إلا التمر والماء» رواه الشيخان.

وقالت عائشة رضي الله عنها : « ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعاً من خبز حنطة حتى فارق الدنيا » (رواه البخاري) .

وربط على بطنه حجراً من الجوع في حفر الخندق .. وهذا كثير وكثير في سيرته وكلها تأكيد على بشريته وتجسيد لصبره واحتسابه وعبوديته الله ، وهذه السيرة يتداولها المسلمون وغير المسلمين .



وحين توفي رسول الله ﷺ ، واشتد الأمر على عمر رضي الله عنه فقال إن محمداً لم يمت ، خطب أبو بكر الله رضي عنه فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : « أيتها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله لا حي يموت » ، ثم تلا هذه الآية : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ... ﴾ (١) .

وفي هذا تأكيد من الله تعالى لعباده بأن محمداً ﷺ عبد الله ورسوله ، وأنه يجري عليه ما يجري على سائر البشر من الموت أو القتل ، فهل يعقل بعد هذا أن يعبد رسول الله ﷺ في حياته أو بعد موته .

وفي كلمة أبي بكر رضي الله عنه ما يثبت أن عبادة رسول الله ﷺ لم تخطر على بال أحد من الصحابة ، فهو يذكرهم

(١) آل عمران : ١٤٤ .



بخصائص النبي التي يعرفونها، وأنه بشر رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأن الله تعالى قد كتب عليه الموت كما كتبه عليهم وعلى سائر الناس : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ^(١) . ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ ^(٢) ، وكأنه يقول في خطابهم : إنكم تعلمون من حياة نبيكم ومن هديه أنه عبد الله ورسوله ، وقد بلغ رسالة ربه كما أمره الله ، وها هو ذا قد مات تصديقاً لوعد الله ، فانظروا ماذا أنتم فاعلون بعد موته ، فإنكم مطالبون باتباع هديه ، وتبليغ رسالته كما أمركم الله بذلك ، وشر فكم به ، فجعلكم شهداء على الناس ، فقوموا إلى ذلك ، وانفضوا بهذا الأمر فإنكم مسؤولون عنه تصديقاً لقول ربكم : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...﴾ ^(٣) .

(١) الزمر : ٣٠ .

(٢) الأنبياء : ٣٤ .

(٣) البقرة: ١٤٣ .



وفي إثبات بشريته ﷺ ما ورد في الحديث الشريف عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال : « أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء » رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث صحيح .

وما رواه الشيخان عن المغيرة رضي الله عنه قال : « قام رسول الله ﷺ حتى انتفخت قدماه » ، وفي رواية لهما « كان يصلي حتى تتورم قدماه » ، فقيل له : أتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال : « أفلا أكون عبداً شكوراً » رواه الترمذي .

هكذا يؤكد على عبوديته وشكره لله الواحد الأحد . فهل يعقل بعد هذا أن يعتقد أحد أنه إله يعبد من دون الله أو مع الله ؟ حاشا لله ذلك وكلا .



تواضعه:

ومن شيمائله الشريفة التي اتصف بها ودعا أتباعه إليها التواضع ، فكان ﷺ يخطط ثوبه ويخصف نعله. رواه أحمد وصححه ابن حبان ، وفي رواية لأحمد : « ويرفع دلوه ويفلي ثوبه ، ويحلب شاته ويخدم نفسه ، وكان يركب الحمار ويردف خلفه » .

وروى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت : «إنما كان فراش رسول الله ﷺ الذي ينام عليه حشوه ليف» ، وكان يقول ﷺ : «تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد» ، ، ويحرم الكبر ويقول : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » رواه مسلم.

وكان في كل أحواله يقول : «إني عبد آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد » ، أبو الحسن الندوي عن الشفاء ، ص ١٠١ .



ويقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : « دخل علي رسول الله ﷺ فألقيت له وسادة من آدم حشوها ليف، فجلس على الأرض وصارت الوسادة بيني وبينه » (الأدب المفرد، ص ١٧٣)، وفي الشفاء، ص ١٠١، عن البخاري : « كان ﷺ يقيم البيت ويعقل البعير ويعلف ناقته ويأكل مع الخادم ويعجن معه ويحمل بضاعته إلى السوق » .

ومحال على من كانت هذه صفاته أن يعبد في حياته أو بعد مماته ، والداني والقاصي عرف منه ذلك . وعدي بن حاتم الذي فر من الله ورسوله وذهب إلى ملوك الغساسنة في الشام ، ورأى ما في قصورهم من البذخ والنعيم ، دعتة أخته سفانة للمجيء إليه ﷺ وقالت له : « إن كان ملكاً أصبت من ملكه ، وإن كان نبياً اهتديت من نبوته » ، ولما دخل المدينة وسأل أين محمد ﷺ قيل اذهب من هنا ، وجاء حتى وصل إليه فسلم عليه ، وذهب به ﷺ إلى بيته ، فلم يجد الأثاث الفاخر ولا أهبة الملوك ولا عظمة الرؤساء ، ولم



يجد قصراً باذخاً ، بل دخل حجرة صغيرة ، وكانت هناك
وسادة فقدمها ﷺ لعدي وجلس على الأرض ، فلم يتمالك
عدي نفسه عن الإسلام فأسلم .

فهذه وأمثالها دليل على العبودية الحقّة ، ولا يعقل معها أن
يعبد محمد ﷺ في حياته ولا بعد مماته .

صبره على الأذى :

وفي سيرته الكريمة أنه أؤذي من مشركي قريش أذى
شديداً ، فوضعوا سلا الجزور على ظهره وهو يصلي
وبقي ساجداً حتى جاءت فاطمة الزهراء ابنته رضي الله
عنها فرفعت عنه سلا الجزور وهي تبكي .

وفي رجوعه من الطائف أغروا به سفهاءهم وعبيدهم
يسبونونه ، قال موسى بن عقبة : رموا عراقبه بالحجارة
حتى اخضلت نعلاه بالدماء ، وكان يجلس ليتقي
الحجارة عن قدميه ويكب عليه زيد بن حارثة يقيه



بنفسه حتى لقد شج في رأسه شجاجاً كثيرة ، وجلس إلى ظل شجرة ودعا دعاء المشهور فيما روي : « اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت أرحم الراحمين ، وأنت رب المستضعفين إلى من تكلني ؟ إلى عدو يتجهمني ، أم إلى بعيد ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ، أعوذ بوجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل بي سخطك ، أو ينزل بي عذابك ، لك العتبي حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » ^(١).

فهذه كلها أمور تؤكد عبوديته وتبعد كل البعد أن يعبد في حياته أو بعد مماته.

(١) سيرة ابن هشام ج/ ٤٢٠.



لا تطروني :

وقد حذر ﷺ أمته من الغلو فيه كما غلت النصارى في عيسى بن مريم عليه السلام حين رفعته عن حقيقته البشرية ، وزعمت أنه هو الله ، أو أنه ابن الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - .

فقال ﷺ: « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله » ، رواه البخاري .

أما الحديث عن شمائله وخصائصه ومعجزاته ، وعظيم فضل الله عليه ، وعظيم منزلته عند ربه ، وما ينبغي له من التقدير والتعظيم والتوقير فليس مما يدخل في إطاره المنهي عنه ، بل هي ثابتة له في كتاب الله عز وجل ، وفي سنته الشريفة ، يجب على الأمة تعلمها ليزداد المؤمنون إيماناً بالله تعالى ، وحباً برسول الله ﷺ ، وتوقيراً له ، ومعرفة بمقدار فضله على الناس وبمقدار فضل الله عليه ، وما أجمل قول من قال :



فإن فضل رسول الله ليس له

حد فيعرب عنه ناطق نعم

العبودية لله أعظم صفاته :

ومن دلائل عبوديته ﷺ أنه علمنا في تشهدنا في الصلاة أن نشهد له أنه عبد الله ورسوله وأمرنا في الصلاة أن نقول بعد التحيات والتشهد : « وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » ، كما أمرنا في كل خطبة وفي كل مهمة بل في كل درس وفي كل تحدث أن نصلي ونسلم عليه ونشهد أنه عبد الله ورسوله ، وقد شرعت الشهادة له بالرسالة في الأذان الذي يرتفع كل يوم خمس مرات ، ويردد المسلمون مع المؤذن جمل الأذان ، ومنها : أشهد أن محمداً رسول الله ، وكذلك الحال عند إقامة الصلاة.



وقد وصف الحق سبحانه وتعالى الرسل في القرآن الكريم بالعبودية لأنها أكرم الصفات: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِيَ الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ ^(١)، ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ ^(٢)، ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾ ^(٣)، ﴿نَعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ^(٤).

وعندما حدثنا الله تعالى عن إسرائه بنبيه ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى خاطبنا بقوله: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ ^(٥).

وقد جاءت الإشارة إلى عبوديته ﷺ في مطالع بعض سور القرآن الكريم، ليكون ذلك أدعى إلى التذكر والحفظ.

(١) ص : ٤٥.

(٢) ص : ٤١.

(٣) ص : ١٧.

(٤) ص : ٤٤.

(٥) الإسرا : ١.



فعندما امتن الله على عباده بنبوّة محمد ﷺ وبكتابه المبين الذي لا عوج فيه ولا التباس أثنى على نفسه فقال سبحانه : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ (١)، وعندما امتن على العالمين ببعثته ونزول القرآن الكريم على قلبه قال سبحانه : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (٢).

وعندما كان ﷺ يجود بنفسه الكريمة ويوشك أن يحظى بلقاء الله وهو على فراش الموت . . كان إذا صحا من سكرة الموت يفتح عينيه ويقول : « لا إله إلا الله، إن للموت لسكرة » .

وكان ﷺ يقول : « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ، ولا تجعلوا قبري عيداً ، وصلوا علي ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم » (رواه النسائي وأبو داود وأحمد وهو حديث حسن).

(١) الكهف : ١ .

(٢) الفرقان : ١ .



ولهذا فإن قبره ظل مكاناً شريفاً في حجرته بجوار مسجده
ﷺ فيصلون في المسجد ، ثم يسلمون عليه ﷺ ولم يحدث أن
عبدَ هذا القبر لا في الماضي ولا في الحاضر .. بل سيظل محفوظاً
بأمر الله من الزوال والضياع ومن أي احتمال لعبادته ، فلم يُعبد
ولن يُعبد قبره أبداً .. وكيف يعبد في قبره ﷺ أو يعبد قبره وهو
لم يعبد في حياته ؟ .

فهذا يبعد كل البعد أن يعبد محمد ﷺ بعد مماته ،
بل يمنع منعاً باتاً أن يقع شيء من ذلك وقد أرسله
الله رحمة للعالمين ولم يجعله فتنة لأحد من عباده إلى يوم
الدين لأن الرحمة لا يمكن أن تصبح فتنة والحمد لله على
فضله ورحمته بعباده: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

(١) الحج : ٦٥ .



تحذير وعتاب :

وقد حذر الله تعالى النبي الله من العصيان فقال : ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(١). ورغم أن الخطاب له ولكن المقصود أمته .. وكذلك العتاب الشديد له في قصة زيد عندما أخبره جبريل عليه السلام بأن زيدا سيطلق زوجته وأنها ستكون زوجة له ﷺ، اشتد عليه هذا الأمر لما يمكن أن يقول الناس فيه ، إن محمداً تزوج زوجة ابنه.

وقد جاء العتاب : ﴿وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطْراً زَوَّجْنَاهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطْراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾^(٢).

لقد أراد الله إبطال التبني الذي كان في الجاهلية ، وفي بدء الإسلام ، وأن المتبني ليس ابناً : ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ....﴾^(٣).

(١) الأنعام : ١٥ .

(٢) الأحزاب : ٣٧ .

(٣) الأحزاب : ٤ .



ثم أمر الله نبيه ﷺ أن يدعو هؤلاء إلى آبائهم فقال تعالى :
﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ...﴾ (١).

إن هذا التحذير وهذا العتاب يدلان دلالة واضحة على أن
محمدًا عبد الله ، أرسله الله بالهدى ودين الحق ﴿بِآيَاتِهَا الَّتِي إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿ (٢).

زد على ذلك أن الله شرع قراءة الفاتحة في كل ركعة وفيها
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٣) ، وجعل الشهادتين شرطاً
للدخول في الإسلام .. أشهد أن لا إله إلا الله : أي لا معبود
بحق إلا الله ، وأشهد أن محمدًا رسول الله ، وقول الله عز وجل :
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ
أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ...﴾ (٤).

(١) الأحزاب : ٥ .

(٢) الأحزاب : ٤٥ - ٤٦ .

(٣) الفاتحة : ٥ .

(٤) آل عمران : ١٤٤ .



فكيف يتأتى أن يعبد في حياته أو بعد مماته ؟!

التوحيد أساس الإسلام :

والدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك أخذت ثلاثة عشر عاماً في بدء الدعوة . فبعد مبعث النبي ﷺ كانت الدعوة إلى شيئين بارزين ، الدعوة إلى توحيد الله والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالبعث بعد الموت للحساب والجزاء .

وقد كان المشركون يعتقدون بوجود الله ولكنهم كانوا مشركين به ، وكانوا ينكرون البعث بعد الموت .. وأكثر آيات القرآن الكريم تدور حول تخليص العقول والقلوب من الشرك وإخلاص العبودية لله وجعلها خاصة به دون أحد سواه ودعوة الرسول ﷺ إلى أن يكون إماماً وأسوة للمسلمين في كمال العبودية ، وإخلاص العبادة لله عز وجل : ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾^(١) ، ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ

(١) مريم : ٦٥ .



حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١﴾ ، ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢﴾﴾ ، ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿١١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٣﴾﴾ .

وقد خاطب القرآن الكريم محمداً ﷺ بقوله : ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَآبٌ ﴿٤﴾﴾ .

وآيات أخرى كثيرة : ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٥﴾﴾ ، ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦﴾﴾ ، ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ

(١) الحجر : ٩٩ .

(٢) القصص : ٨٧ - ٨٨ .

(٣) الجن : ٢١ - ٢٢ .

(٤) الرعد : ٣٦ .

(٥) النساء : ٤٨ .

(٦) النساء : ١١٦ .



أَنْصَارٍ ﴿١﴾، ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٢﴾.

روى الشيخان : «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً : الإِشراك
بالله ، وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور ، وقول الزور» وكان
متكئاً فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت .

وروى الشيخان : « أي الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله
نداً وهو خلقك . قلت : إن ذلك لعظيم : ثم أي ؟ قال : وأن
تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك . قلت : ثم أي ؟ قال : أن تزاني
حليلة جارك» .

تحذيره أمته من الشرك :

والنبي ﷺ حذر من الشرك وقال : « أخوف ما أخاف
عليكم الشرك » .

(١) المائدة : ٧٢ .

(٢) الزمر : ١١ - ١٢ .



وجعل الشرك أكبر الكبائر على الإطلاق ، ولما عد أكبر الكبائر عد أولها « أن تجعل لله ندا وهو خلقك » وكل الأمور قابلة للمغفرة إلا الشرك . قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (١) .

ومما هو معلوم لكل مسلم أن الشرك أعظم الظلم : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢) .

وأن الشرك محبط للعمل مهما كان عظيماً : ﴿ وَقَدْ مَنَّ إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ (٣) .

وإن العصاة إذا لم يتوبوا فأمرهم يفوض لربهم إن شاء عفا عنهم وإن شاء عذبهم ، وأما إذا تابوا وصدقوا في التوبة قبل الله توبتهم ، والله يبسط يده في الليل ليتوب ، مسيء النهار ، ويبسط يده في النهار ليتوب مسيء الليل .

(١) النساء : ١١٦ .

(٢) لقمان : ١٣ .

(٣) الفرقان : ٢٣ .



والنبي المعظم ﷺ يقول : « والله إني لأستغفرن الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة » رواه البخاري، هذا وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . فكيف يعبد محمد ﷺ الذي يكرر التوبة إلى ربه وخالقه في اليوم أكثر من سبعين مرة.

منعه أن يسجد له أحد :

ولما جاء بعض الصحابة من بلاد الكفر وقد رأوا الناس يسجدون لملوكهم أو لبطارقتهم ، أرادوا أن يسجدوا الرسول الله ﷺ وقالوا : نحن أحق بالسجود لك ، فأبى عليهم ذلك ، وعلمهم أنه لا يجوز السجود لغير الله ، ولا يصح لبشر أن يسجد لبشر . رواه أحمد والنسائي بإسناد جيد.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه (أي يسقون عليه) ، وأنه استصعب عليهم فمنعهم ظهره ، وأن الأنصار جاؤوا إلى



الرسول ﷺ فقالوا : إنه كان لنا جمل نسني عليه ، وأنه استصعب علينا منعنا ظهره ، وقد عطش النخل والزرع ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : « قوموا » فقاموا ودخل الحائط والجمل في ناحية ، فمشى رسول الله ﷺ نحوه فقالت الأنصار : يا رسول الله قد صار مثل الكلب الكلب ، وإننا خاف عليك صولته ، فقال ﷺ : « ليس علي منه بأس » ، فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خر ساجداً بين يديه ، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذل ما كانت قط ، حتى أدخله في العمل ، فقال له أصحابه : يا رسول الله ، هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ، ونحن نعقل ، فنحن أحق بالسجود لك ، فقال رسول الله ﷺ : « لا يصح لبشر أن يسجد لبشر ، لو صح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها » رواه أحمد والنسائي بإسناد جيد .

فالمعجزة واضحة وعظيمة ولكن أعقبها ذلك التنبيه العظيم : « لا يصح لبشر أن يسجد لبشر » ، فهل يعقل أن يعبد



محمد ﷺ في حياته أو بعد مماته ؟!.

ومن عظيم نصحه لأئمة في بيان حقيقة التوحيد أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ : ما شاء الله وشئت . فخشى أن يفهم أحد أن لرسول الله ﷺ مشيئة كمشيئة الله ، أو أن يكون لأحد إرادة مع إرادته ، ومع أن هذا الأمر واضح في كتاب الله عز وجل : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۖ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَادْخُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشَدًا ۝﴾^(١) ، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝﴾^(٢) ، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَئِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ...﴾^(٣).

مع ذلك فإنه سارع إلى تصحيح العبارة باستنكار قول الرجل ، وبيان الصواب بقوله : « أتجعلني لله نداً ، ولكن قل ما شاء الله ثم ما شئت » .

(١) الكهف : ٢٣ - ٢٤ .

(٢) الإنسان : ٣٠ .

(٣) القصص : ٥٦ .



قال ذلك وهو يعلم أن الرجل ما أراد أن محمداً ﷺ صار نداً لله ، بل يعلم بل يعلم أنه عبد الله ورسوله ، وأنه بشرياً أكل الطعام ويمشي في الأسواق . وله كل خصائص البشر ، وأنه يميزه عن غيره من الناس شرف النبوة ، وتلقي الوحي عن الله تعالى : ﴿ إِنَّهُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾^(١) ، والصحابة كلهم يعلمون ذلك عنه ، وهم أبعد الناس عن الشرك أو اعتقاد الندية لله بأحد !! .

لقد أراد ﷺ أن يعلم الأمة دقة التعبير حين يكون الأمر متعلقاً بالعقيدة الإسلامية ، وأن يكون واضحاً في أذهان المسلمين أن مشيئة الله مطلقة ، لا تتعلق بمشيئة أحد من البشر ، ولو كان رسول الله ﷺ أفضل خلق الله ، وسيد ولد آدم ، وصاحب الشفاعة العظمى والوسيلة والحوض المورود ، وصاحب المعجزات الكبرى ..

(١) النجم : ٤ .



فهل يمكن بعد هذا أن يتوهم أحد أن رسول الله ﷺ إله
يعبد من دون الله .. معاذ الله .

بعض معجزاته :

أيد الله تعالى أنبياءه الكرام بالمعجزات الخارقة التي
تشهد بصدقهم ، وما من نبي إلا وآتاه الله معجزة أو
معجزات تكون شاهداً على صدق نبوته ، وداعياً قوياً
لإيمان الناس به ، وقد أيد الله نبينا محمداً ﷺ بأعظم
المعجزات المادية والمعنوية ، وأعظم معجزاته القرآن
الكريم الذي أعجز الإنس والجن أن يأتوا بمثله ، بل
أن يأتوا بسورة من مثله .

أما معجزاته الأخرى فهي كثيرة جداً لا يتسع المجال
لذكرها ، وقد جاء ذكر بعض معجزاته في القرآن الكريم
نصوصاً قاطعة ، ومن هذه المعجزات معجزة الإسراء والمعراج
فقد أسرى الله تعالى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ،



ومن المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام في ليلة واحدة .

وقد جاء النص على الإسراء به في مطلع سورة

الإسراء: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١).

لقد جاء النص منذ بدايته إعلاناً واضحاً بأن الإسراء به ﷺ لم يكن بقدرته هو ، ولا بقدرة أحد من الملائكة ، ولكنه بقدرة الله القادر على كل شيء ، فهو الذي أسرى به ، وهو الذي رفعه إلى السماوات السبع وما فوقهن وأراه من آياته الكبرى ما شاء .

وجاءت البداية تسبيحاً لله «سبحان» إعلاناً واضحاً بأن هذه المعجزة ليست من قدرة محمد ﷺ ، بل هي من فعل الله المنزه عن المشابهة لأحد من الخلق ، أو الخضوع لقوانين المادة

(١) الإسراء : ١ .



التي تخضع لها الخلائق ، وكأن الآية الكريمة تقول : إن معجزة
الإسراء والمعراج لا تقاس بما تألفونه من قوانين الجاذبية والثقل
ووسائل النقل وما تعرفونه من حدود السرعة . . . بل تقاس
إلى قدرة خالق السماوات والأرض ، الفعال لما يريد، الذي
يسبح له كل ما في الوجود ، وينزهه في ذاته وصفاته وأفعاله عن
المشابهة للخلق أو الخضوع للأسباب...

وقد جاء النص على عبودية النبي ﷺ لله منذ مطلع
الآية : ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ . فهو عبد رسول ، بل هو أعبد
خلق الله لمولاه كما هو أخشى خلق الله ، وذلك أمر
معروف ومشهور عنه لا يحتاج إلى دليل ، ونصوصه في
الكتاب والسنة واضحة بينة.



وجاء النص على عبوديته في مطلع سورة النجم التي جاء فيها الحديث عن معجزة المعراج واضحاً لا لبس فيه: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ ۖ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۚ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (١).

فدل على أنه رسول من البشر قد حفظه الله من الضلال والغواية، وأن ما يأتي به وحى من الله جل جلاله، وأن الذي يأتيه بالوحي هو جبريل عليه السلام وقد رآه النبي ﷺ بصورته الملائكية وله ستمائة جناح مرتين : مرة عندما فاجأه الوحي أول مرة في جبل ثور؛ ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۖ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۖ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۚ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۖ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۚ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۚ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۚ أَفَتَمُرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ (٢).

(١) النجم: ١ - ٤.

(٢) النجم: ٥ - ١٢.



ومرة أخرى ليلة الإسراء حين عرج به إلى السماوات العلى،
 وإلى سدرة المنتهى : ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾
 عِنْدَ هَاجِنَةِ الْمُأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذِ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ
 رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ (١).

والآيات التي رآها في الإسراء والمعراج كثيرة جداً ، منها ركوبه البراق ، وحشر الأنبياء له ، وصلاته بهم إماماً في بيت المقدس ، وعروجه إلى السماوات السبع ، ورؤيته في كل سماء واحداً من الأنبياء ، وتسليمه عليهم ، ورؤيته موسى في السماء السادسة ، وإبراهيم في السماء السابعة ، ورؤيته البيت المعمور في السماء السابعة ، وعروجه إلى سدرة المنتهى ، وتكليم الله له ، وما غشي السدرة من نور الله ، ومن الملائكة ، ورؤيته الجنة ونعيمها وأهلها ، ورؤيته النار وعذابها وأهلها وأصناف المعذبين فيها ، ورؤيته جبريل في صورته وله ستمائة جناح ، وفرض الصلاة عليه خمسين صلاة ، ثم تخفيفها عنه وعن أمته

(١) النجم: ١٣ - ١٨.



إلى خمسٍ، وكلها معجزات كبرى لم يتح مثلها لنبي سواه ، وقد عاد من رحلته تلك يتلو على الناس ما يؤكد عبوديته لله ، وأنه بشر رسول من الله .

ومن معجزاته التي جاء ذكرها في القرآن الكريم معجزة انشقاق القمر، فقد طلبت قريش من النبي ﷺ آية فانشق القمر بمكة مرتين . رواه مسلم .

وروى البخاري عن أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ ... أن يريهم آية فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما . فقالوا سحرنا محمد ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَ الْقَمَرُ ۚ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾ (١) .

وأما معجزاته المروية بالأحاديث الصحيحة فكثيرة جداً ، نذكر طرفاً منها .

(١) القمر : ١ - ٢ .



أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما كانت غزوة تبوك ، أصاب الناس مجاعة ، فقالوا يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرننا نواضحنا فأكلنا وادھنا ، فقال رسول الله ﷺ : « افعلوا » . قال : فجاء عمر فقال : يا رسول الله إن فعلت قلَّ الظَّهْرُ ، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة ، لعل الله أن يجعل في ذلك بلاغاً . فقال رسول الله ﷺ : « نعم » ، فدعا بنطع فبسطه ، ثم دعا بفضل أزوادهم قال : فجعل الرجل يأتي بكف ذرة ، قال : ويحيي الآخر بكف تمر ، قال ويحيي الآخر بكسرة ، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير ، فدعا رسول الله ﷺ بالبركة ثم قال : « خذوا في أوعيتكم » ، حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملأوه فأكلوا حتى شبعوا ، وفضلت فضلة ، فقال رسول الله ﷺ : « أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقي الله بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة » .

فقد نبه ﷺ في ختام هذه المعجزة العظيمة إلى أنها من فضل



الله وبقدرته وإذنه ، وأنه لا يأتي بها إلا نبي ، وأن الله هو الذي يؤيد بالمعجزة من شاء متى شاء ، ليزداد المؤمنون إيماناً بالله ، وتصديقاً برسوله ، وتسبيحاً بحمد ربهم ، وتنزيهاً له عن الشركاء ، فيعبدوه وحده ، وينقادوا لأمره ، وهذا يمنع أن يخطر في بال أحد أن يعبد محمداً ﷺ في حياته أو بعد موته .

ومن عظيم معجزاته :

ما روي عن غزوة أحد أن عين أبي قتادة أصيبت في أحد فسالت على خده ، فردها رسول الله ﷺ بيده فكانت أصح عينيه وأحسنهما .

وروي أنه انقطع سيف عكاشة يوم بدر ، فأعطاه الرسول ﷺ جذلاً من شجرة ، فعاد في يده سيفاً صارماً صافي الحديد شديد المشهر ، يضرب به في نحور الأعداء .

وأخذ رسول الله ﷺ يوم بدر قبضة من تراب فرمى بها في وجوه المشركين ، فما من المشركين أحد إلا



أصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة
فولوا مدبرين ، وجاء الوحي لئلا يذهب ببعض الناس
الفهم إلى وهم ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(١) . . .
فلا يستطيع محمد ﷺ وهو بشر أن يوصل التراب إلى ما
وصل إليه مهما أوتي من القوة إلا بإذن الله.

وقد أعطى الله سبحانه نبيه ﷺ معجزات كبرى مثل نبع الماء
من بين أصابعه وتكثير الطعام القليل وتسبيح الطعام وتسبيح
الحصا وتسليم الحجر عليه ﷺ .

أخرج مسلم في كتاب الجهاد في غزوة حنين عن سلمة بن
الأكوع قال : لما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة ، ثم قبض
قبضة من تراب من الأرض ، ثم استقبل به وجوههم فقال :
«شاهت الوجوه» فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينه تراباً
بتلك القبضة فولوا مدبرين .

(١) الأنفال : ١٧ .



وعن بريدة رضي الله عنه : سأل أعرابي النبي ﷺ آية
«أي معجزة بعد أن أسلم كما في رواية البزار وأبي نعيم»
ليقوي إسلامه ، فقال له : قل لتلك الشجرة «رسول الله
ﷺ يدعوك» . قال : فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها
وبين يديها وخلفها ، فتقطعت عروقها مغيرة حتى
وقفت بين يدي رسول الله ﷺ فقالت : السلام عليك
يا رسول الله ، قال الأعرابي : مرها فلترجع إلى منبتها ،
فرجعت ، فدلّت عروقها في ذلك الموضع فاستقرت ،
فقال الأعرابي : ائذن لي أن أسجد لك ، قال : «لو
أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد
لزوجها» رواه البزار ونقله في الشفاء بزيادة وقال : ائذن
لي أن أقبل يديك ورجليك فأذن.

وقد روى الحاكم في مستدركه بإسناد جيد ، عن ابن
عمر رضي الله عنه قال : كنا مع النبي صلى الله عليه
 وآله وسلم في سفر ، فأقبل أعرابي ، فلما دنا منه قال



له رسول الله ﷺ: «أين تريد؟» قال: إلى أهلي، قال: «هل لك إلى خير؟» قال: وما هو؟ قال: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده، وأن محمداً عبده ورسوله»، قال: هل من شاهد على ما تقول؟ قال رسول الله ﷺ: «هذه الشجرة»، فدعاها رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وهي على شاطئ الوادي، فأقبلت تحض الأرض خدًا، فقامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثاً فشهدت، ورجعت إلى منبتها، ورجع الأعرابي إلى قومه، وقال: يا رسول الله، إن يتبعوني آتكم بهم، وإلا رجعت إليك وكنت معك.

وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: سرنا مع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - حتى نزلنا وادياً أفيح، فذهب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقضي حاجته، فاتبعته بإدواة من ماء، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئاً يستتر به، فإذا شجرتان في شاطئ الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ إلى



إحدهما ، فأخذ بعض أغصانها، فقال : «انقادي علي بإذن الله تعالى» فانقادت معه كالبعير المخشوش (الخشاش عود من خشب ، فإن كان مفتولاً من وبر ونحوه فخزام ، ومن نحو نحاس فبرة) الذي يصانع قائده ، ثم فعل بالأخرى كذلك ، حتى إذا كان بالنصف بينها قال : «التئمتها بإذن الله فالتأمتا» .
الحديث..

إن كل من يقرأ هذه المعجزات الخارقة للعادة يجد في تضاعيفها المنع من السجود للبشر، والنهي عن السجود لرسول الله ﷺ ، وقد كان السجود جائزاً للبشر قبل بعثته ﷺ ، ولم يكن عبادة ، فلما جاءت الشريعة الإسلامية نسخت هذا إلى الأبد ، وأصبح السجود للبشر حراماً لثلاث ذريعة لعبادة أحد غير الله .

ولو كان السجود جائزاً ، لأمر رسول الله ﷺ المرأة أن تسجد لزوجها .



وهذه الأمور وغيرها كثير تقف مانعاً عظيماً وسداً قوياً أن
يعبد محمد ﷺ في حياته أو بعد مماته.

وقد أعطي النبي ﷺ من الكمالات ما جعله في أعلى
مراتب البشر وأفضل منازل الأنبياء ، وها هو ذا يقول عن
نفسه : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » ، « آدم ومن بعده تحت
لوائي يوم القيامة » (رواه مسلم).

إنها كمالات بشرية ، وعطاءات ربانية من لدن حكيم عليم
متفضل ، وقد فهم المسلمون ذلك حق الفهم في عصورهم
المختلفة، على تفاوت علومهم ، واختلاف درجاتهم ، وقد
أحسن من قال :

محمد بشر وليس كالبشر
بل هو ياقوتة والناس كالبحر



ومع كل هذه الكمالات فإن النصوص قاطعة بأنه بشر مثل سائر البشر في خلقه وولادته وحياته ومعاشه ومماته ، وإن كان البشر كلهم ، والأنبياء جميعهم دونه في المنزلة عند الله تعالى وعند ملائكته ، وعند أنبيائه وأوليائه وعباده المؤمنين أجمعين ، وقد جاءت النصوص بذلك في الكتاب والسنة ، فمن الكتاب أخذ الله العهد على أنبيائه إن أدركوا بعثته أن يؤمنوا به ، وذكره في التوراة والإنجيل ، وذكر علاماته وآياته ، وذكر سمات أصحابه .. ووعد الله تعالى له بأن يعطيه يوم القيامة حتى يرضى ، ومواساة الله تعالى له فيما يواجهه من الصد والإعراض والأذى . . . ومن السنة الشريفة قوله ﷺ في الحديثين السابقين : « أنا في سيد ولد آدم . . . آدم ومن بعده تحت لوائي يوم القيامة » وهذا وغيره كاف لأن يعلم الناس أنه ﷺ ، يحرم السجود له ، وتحرم عبادته في حياته وبعد مماته .

ومن خصائصه أنه يرى من وراء ظهره كما يرى من أمامه ﷺ ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « هل



ترون قبلي ههنا ، فوالله ما يخفى عليّ خشوعكم ولا ركوعكم ،
إني لأراكم من وراء ظهري » (متفق عليه واللفظ لمسلم)
وروى مسلم «إني والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين
يدي» .

قال النووي في شرحه لصحيح مسلم قال العلماء : معناه
أن الله تعالى خلق له إدراكاً في قفاه يبصر به من وراءه ، وقد
انخرقت العادة له ﷺ بأكثر من هذا ، وليس يمنع من هذا عقل
ولا شرع ، بل ورد الشرع بظاهره ، فوجب القول به .

قال القاضي عياض : « هذه الرؤيا بالعين حقيقة
والله أعلم » .

كل هديه تأكيد على التوحيد :

ولما كان الناس يختلفون ويتحاكمون إلى رسول الله ﷺ
ويحكم بينهم فإنه كان يقول : « إنما أنا بشر وإنكم تختصمون
إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، فأقضي له



بنحو ما أسمع ، فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار» متفق عليه .

وفي كل تصرف من تصرفاته ﷺ يدل على صدق العبودية لربه ، فهو العبد الحقيقي ، الصادق في عبوديته ، المخلص في عبادته لخالقه .

زد على ذلك أنه لم يتهم من قبل أعدائه بأنه يدعو الناس إلى عبادة نفسه ، بل اتهموه بأنه ساحر وكاهن ومجنون ، حاشا لله أن يكون كما زعموا ، بل هو عليه الصلاة والسلام ، سيد العقلاء وإمام أهل الإيمان ، وخاتم النبيين والمرسلين ، وحيب رب العالمين : وما أروع ما قال فيه القائل :

وصفوة القول فيه أنه بشر

وأنه خير خلق الله كلهم

ومن يراجع تعاليم المصطفى ﷺ وتوجيهاته لصحابته رضوان الله عليهم يدرك بوضوح حرصه على ربط



الناس في دعواتهم وتصرفاتهم واستعانتهم بالله عز وجل ،
وتأكيده على أن النافع والضار والرزاق والمعطي هو الله
عز وجل وها هو ذا يعلم ابن عمه عبد الله بن عباس
يوم كان خلف النبي ﷺ فقال له كما جاء في الحديث
المروى عنه رضي الله تعالى عنه : كنت خلف النبي صلى
الله عليه وآله وسلم يوماً فقال : « يا غلام إني أعلمك
كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا
سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن
الأمّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا
بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك
بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت
الأقلام وجفت الصحف » (رواه الترمذي وقال حديث
حسن صحيح) .

فهل يعقل أن يعبد هذا النبي الكريم الذي بعثه الله



هادياً ومبشراً ونذيراً ، والذي أرشد أصحابه إلى
عمق التوكل على الله ، وعدم اتخاذ إله سواه : ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ
عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ ^(١) ، وعلمهم أن لا يخافوا إلا من الله ، وأن
يصلوا قلوبهم به ويأمنوا أنفسهم بالاعتماد عليه .

هكذا علمهم الإيمان بالقدر خيره وشره وأنه من الله
فإذا تيقن المسلم هذا انصرف عن كل ما سواه ، ولم يعبد
أحداً إلا الله .

وعندما سأله أبو عمرو سفيان ابن عبد الله رضي الله عنه
فقال : يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً
غيرك . فقال الرسول ﷺ : « قل آمنت بالله ثم استقم » (رواه
مسلم) . هكذا تحدث بجوامع الكلم ، وعلمه أهمية الإيمان بالله
وأن الاستعانة لا تكون إلا بالله .

وقد حفظ الله تعالى سيرته نقية واضحة جليلة تبدأ بالتوحيد

(١) الطلاق : ٣ .



وتنتهي إلى التوحيد ، فلم يعبد لا في حياته ولا بعد مماته ، وهذا ابن عمر رضي الله عنهما يروي عن رسول الله ﷺ غيرته على كلمة التوحيد وأن الله قد أمره أن يقاتل الناس حتى يشهدوا بها ويؤدوا حقها ، فقال : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحَسَابِهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى » ، (رواه البخاري ومسلم) .

ثم ها هو ذا يعلم الأمة معنى التوكل على الله والإيمان

به والاعتماد عليه والاستغناء عن كل شيء سواه فيقول ﷺ في الحديث الذي يرويه أبو ذر الغفاري فيما يرويه عن النبي ﷺ عن ربه عز وجل أنه قال : « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا . يا عبادي ، كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ،



يا عبادي كلکم عار إلا من کسوته فاستکسوني اکسکم .
يا عبادي إنکم تخطئون باللیل والنهار وأنا أغفر الذنوب
جميعاً فاستغفروني أغفر لکم ، يا عبادي إنکم لن تبلغوا
ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي لو
أن أولکم وآخرکم وإنسکم وجنکم کانوا علی أتقى قلب
رجل واحد منکم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، يا عبادي
لو أن أولکم وآخرکم وإنسکم وجنکم کانوا علی أفجر
قلب رجل واحد منکم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً ،
يا عبادي لو أن أولکم وآخرکم وإنسکم وجنکم قاموا في
صعيد واحد فسألوني فأعطيت کل واحد مسأله ما نقص
ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر ، يا
عبادي إنما هي أعمالکم أحصیها لکم ثم أوفیکم إياها ،
فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا
یلومن إلا نفسه » (رواه مسلم) .



وروى الشيخان عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه قال :
قال ﷺ: «إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم ، وإني والله لأنظر إلى
حوضي الآن ، وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض وإني والله
ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكنني أخاف أن تنافسوا
فيها» (أي الدنيا) .

قال هذا في خطبة خطبها قبل وفاته بأيام ، كالمودع
لأصحابه ، وفي قوله : «إني والله ما أخاف عليكم أن
تشركوا بعدي . . » ما يدل على أنه ﷺ مطمئن إلى أن
التوحيد راسخ في أمته ، وأنها لن تشرك بالله أحداً ، ولن
تعبد مع الله أحداً ، فهل يعقل بعد هذا أن تعبد أمته بعد
موته ، وقد أقسم بالله أنها لن تفعل ذلك أبداً !! .

نعم لقد حذرهما من الشرك فقال: «أخوف ما أخاف عليكم
الشرك والشهوة الخفية» . فقالوا : أو تشرك أمتك من بعدك ؟
فقال : «أما إنهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً ، ولكنهم



يراؤون الناس بأعمالهم» فدل ذلك على أن الشرك الذي يخاف على أمته منه هو الشرك الخفي وهو الرياء ، وأنهم لن يعبدوا شمساً ولا قمراً ولا وثناً.

ويؤكد هذا أيضاً ما قاله ﷺ في حجة الوداع : « فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم .. ».

وهذا تأكيد آخر بنفي الشرك عن هذه الأمة ، وأنها لن تصرف العبادة لأحد غير الله أبداً أبداً . فهل يعقل بعد هذا أن تعبد أمته في حياته أو بعد موته وهو معلم الأمة حقيقة التوحيد !!! .

هذا هو المصطفى ﷺ معلم التوحيد ورسول رب العالمين والنبي الكريم الذي علمنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وأن لا نعبد بحق إلا الله فهل يعقل أن يعبد ﷺ أحد في حياته أو بعد مماته ؟! .



كلا وألف كلا فقد تركنا « على المحجة البيضاء ليلها
كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك » وإنه ﷺ قد بلغ الرسالة وأدى
الأمانة وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين .

نسأل الله عز وجل أن يحفظ على هذه الأمة دينها الذي هو
عصمة أمرها ، وأن يرزقنا حسن اتباع نبيه ﷺ والتأسي به ، وأن
يورثنا حوضه إن شاء الله ونشرب بيده الشريفة شربة هنيئة لا
نظمأ بعدها أبداً ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آل
سيدنا محمد وعلى صحابة سيدنا محمد ورضي الله عن التابعين
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وعنا معهم برحمتك يا أكرم
الأكرمين والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل .



وبعد ،

فقد بدا واضحاً أن رسول الله ﷺ هو رسول التوحيد .
وخاتم الأنبياء والمرسلين .. قامت دعوته إلى عبادة الله وحده
لا شريك له .. وجاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن
عبادة الأصنام إلى عبادة الله الواحد القهار وحده لا شريك له
ولا مثيل .. وحذر هذا النبي عليه أفضل الصلاة والتسليم أمته
من أصناف الشرك وألوانه .. ورباهم على الوجدانية لله عز
وجل . وجاءت القمة الإيمانية لتوضح أن الله عز وجل هو أغنى
الأغنياء عن الشرك .. فهو نبي التوحيد والرحمة المهداة للعالمين ،
ولأنه ﷺ جاء بآخر الرسالات فقد تكفل الله عز وجل بحفظ
هذا الكتاب ولم يستحفظ الناس عليه فقال عز وجل : ﴿ إِنَّا نَحْنُ



تَزْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١﴾. هكذا أعلنها الرب وطمأن هذه الأمة أنه قد تكفل بحفظ القرآن الكريم ، ولأن رسول الله ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين فقد تكفل الله سبحانه وتعالى بعصمته من الناس ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ﴿٢﴾، وشهد له رب العزة والجلال بأن ما يأتي به إنما هو وحى يوحى ، فقال عز وجل : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ ﴿٣﴾.

هكذا حفظ الله عز وجل كتابه ، وشهد لرسوله ﷺ بالعظمة ، وعصمه وكرمه وأكرمه ورفع له ذكره ، ومع ذلك فقد نبهنا إلى أنه بشر وأنه خير من عبد الله عز وجل ، وخير من دعا إلى عبادة الله عز وجل ، ثم أوضح مكانته عند ربه ، وأمر الأمة بأن توقر هذا الرسول وأن تحبه وتثني عليه في حدود ما أمر الله عز وجل ، ولعل من المناسب

(١) الحجر : ٩ .

(٢) المائدة : ٦٧ .

(٣) النجم : ٣-٤ .



لهذا السياق أن نشير إلى أن الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا أعظم الأمة توقيراً وتعظيماً ومعرفة بقدر رسول الله ﷺ ، وقد حكى شعراء النبي ﷺ كثيراً من الشناء عليه ، والمدح له ، والإشادة بفضله فمن ذلك ما قاله حسان بن ثابت - رضي الله عنه - :

يا ركن معتمدٍ وعصمةً لائذٍ
وملاذٍ منتجعٍ وجارٍ مجاورٍ
أنت النبي وخيرُ عصبةِ آدمٍ
يا مَنْ يجود كفيضٍ بحرٍ زاخِرٍ
ميكالُ معك وجبرئيلُ كلاهما
مددٌ لنصرِكَ من عزيزٍ قادرٍ

وقال حسان يمدح النبي ﷺ :
وأحسنُ منك لم تر قط عيني
وأجملُ منك لم تلدِ النساءُ



خلقت مبراً من كلّ عيب
كأنك قد خلقت كما تشاء

وقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه :
أنت النبي ومن يحرم شفاعته
يوم الحساب فقد أزرى به القدر
فثبت الله ما آتاك من حسن
تشيت موسى ونصراً كالذي نصرُوا

وقال أيضاً :

روحي الفداء لمن أخلاقه شهدت
بأنه خير مولودٍ من البشر
عمت فضائله كلّ العباد كما
عم البرية ضوء الشمس والقمر



ولو ذهبنا نتقصى ما قاله الشعراء في مدحه والثناء عليه
حيّاً ، وفي رثائه وبكائه ميتاً ، وفي الحنين إلى ذكره وآثاره
وأطيافه لمألنا من ذلك عشرات الصفحات .

وقد سار كثير من الشعراء في العصور الإسلامية المتلاحقة
على خطى شعراء النبي ﷺ ، فعددوا فضائله ، وتغنوا بأخلاقه ،
وتحدثوا عن حبهم له وتمسكهم بدعوته كما تحدثوا عن
خصائصه وشمائله ومعجزاته ، وبلغوا في ذلك شأواً بعيداً من
الإجادة والإبداع ، ولو ذهبنا نتقصى ما قاله الشعراء في ذلك لما
اتسعت له آلاف الصفحات .

ولعل أصدق من أثنى على رسول الله ﷺ ومدحه
البوصيري الشاعر المحب الفذ في برده الرائعة التي زادت
أبياتها على مائة وستين بيتاً ، وهي إحدى روائع المديح
النبوي التي حفظتها ورددتها ملايين المسلمين على مدى
أكثر من سبعة قرون ، وما تزال ، والبوصيري خير من بين



لنا بدقة كيف نشني على رسول الله ﷺ في بيته الرائع :

دع ما ما ادعته النصارى في نبهم

واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

ودعونا نستعرض بعض أبيات هذه القصيدة الرائعة :

محمد سيد الكونين والثقلين

والفريقين من عرب ومن عجم

هو الحبيب الذي ترجى شفاعته

لكل هول من الأهوال مقتحم

فاق النبيين في خلق وفي خُلق

ولم يدانوه في علم ولا كرم

دع ما ادعته النصارى في نبهم

واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف

وانسب إلى قدره ما شئت من عظم



فإن فضل رسول الله ليس له
حد فيعرب عنه ناطق بفم
فمبلغ العلم فيه أنه بشرٌ
وأنه خير خلق الله كلهم
أكرم بخلق نبي زانه خلق
بالحسن مشتمل بالبشر متسم
كالزهر ترفٍ والبدر في شرفٍ
والبحر في كرمٍ والدهر في همم
كأنه وهو فرد في جلالته
في عسكر حين تلقاه وفي حشم
جاءت لدعوته الأشجار ساجدةً
تمشي إليه على ساقٍ بلا قدم
وما حوى الغار من خير ومن كرم
وكل طرفٍ من الكفار عنه عمي



فالصدقُ في الغار والصدقُ لم ير ما
وهم يقولون ما بالغار من إرم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على
خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة
من الدروع وعن عال من الأطم
لا تنكر الوحي من رؤياه إن له
قلباً إذا نامت العينان لم ينم
تبارك الله ما وحي بمكتسب
ولا نبي على غيب بمتهم
وأحيت السنة الشهباء دعوته
حتى حكّت غرة في الأعصر الدهم
وقد ظل التطلع إلى مدح النبي ﷺ حُلماً يداعب أحلام
شعراء الإسلام على مر العصور، وأمثلاً عزيزاً ترنو إليه



أبصارهم ، منذ أن بدأ هذا الفن على يد كبار شعراء الصحابة
رضوان الله عليهم.

ومنذ أن بدأ فن المديح النبوي على يد حسان بن
ثابت الأنصاري - رضي الله عنه - وحتى اليوم نجد مئات
الشعراء الذين انضوا تحت هذا اللواء ، وبلغ بعضهم
الذرى العالية..

وقد جاء قبل الإمام البوصيري وبعده الجم الغفير من
الشعراء على تفاوت في الدرجات ، وتتبأ بردة البوصيري
- رحمه الله - واسطة عقد المدائح النبوية الشريفة ، وقد حازت
منزلة رفيعة جعلتها محط أنظار شعراء المديح النبوي في محاكاتها
والنسج على منوالها ، وكان شوقي - رحمه الله - مجلياً في قصيدته
التي سماها (نهج البردة) وهي القصيدة التي مطلعها :

ريم على القاع بين البان والعلم
أحل سفك دمي في الأشهر الحرم



ولشوقي قصيدة أخرى قلد فيها البوصيري في همزيتة التي
مطلعها :

كيف ترقى رقيق الأنبياء
يا ساء ما طاولتها ساء

وها نحن نختار بعض الأبيات من همزية شوقي رحمه الله
التي مطلعها :

ولد الهدى فالكائنات ضياءُ
وفمُ الزمانِ تبسمُ وثناءُ
بك بشرَ اللهُ السماءَ فزينتُ
وتضوعتُ مسكاً بك الغبراءُ
يومُ يتيه على الزمانِ صباحُهُ
ومساؤه بمحمد وضاءُ
يا من له الأخلاق ما تهوى العلى
منها وما يتعشقُ الكبراءُ



زانتك في الخلق العظيم شائل
يغرى بهنّ ويولعُ الكرماءُ
فإذا سخوتَ بلغتَ بالجود المدى
وفعلتَ ما لا تفعلُ الأنواءُ
وإذا رحمتَ فأنت أمّ أو أبّ
هذان في الدنيا هما الرحماءُ
يا من له عز الشفاعة وحدهُ
وهو المنزه ما له شفعاءُ
عرشُ المهيمن أنت تحت لوائه
والحوض أنت حياله السقاءُ
صلى عليك الله ما صحبَ الدجى
حادٍ وحت بالفلا وجناءُ

وهكذا فمن أراد أن يمدح ويشني فليمدح بما شاء وهو يعلم
أن رسول الله ﷺ هو نبي التوحيد وهو بشر ونبي ﷺ مرسل ،



وقد ظلت الأمة على هذه العقيدة منذ بزوغ فجر الإسلام تكرم
هذا الرسول وتحبه وتثني عليه ، ولكن تعلم أنه عبد من عباد
الله ، ولهذا لم يحدث قط أن عبد هذا الرسول ﷺ لا في حياته
ولا بعد مماته ، وهذا من فضل الله عليه وعلى الأمة الإسلامية ،
فسبحان من عصمه وحفظه ورباه وأدبه ، حتى كان على خلق
عظيم وبالمؤمنين رؤوف رحيم ، وقد ظلت سيرته ناصعة نقية
معروفة إلى يومنا هذا.

فالحمد لله الذي جعلنا من أتباع محمد ﷺ ومن أحباب محمد
ﷺ ونسأله سبحانه وتعالى أن يثبتنا على هذه العقيدة السمحاء
ويجعلنا من أحباب المصطفى عليه الصلاة والسلام وآل بيته
الطيبين وصحابته الكرام الغر الميامين .
والحمد لله رب العالمين .



الفهرس

المقدمة	٥
حياته الشريفة	١٢
بشر مثلكم	١٣
الأنبياء دعاة إلى التوحيد	١٥
كيف عبدت الأصنام	١٧
فتنة بني إسرائيل بالعزير	١٨
فتنة النصارى بعيسى عليه السلام	١٩
التأكيد على بشرية الرسول ﷺ	٢١
اختار العبودية	٣٠
تواضعه	٣٤
صبره على الأذى	٣٦



٣٨	لا تطروني
٣٩	العبودية لله أعظم صفاته
٤٣	تحذير وعتاب
٤٥	التوحيد أساس الإسلام
٤٧	تحذيره أمتة من الشرك
٤٩	منعه أن يسجد له أحد
٥٣	بعض معجزاته
٦٠	ومن عظيم معجزاته
٦٧	كل هديه تأكيد على التوحيد
٧٧	وبعد

